روايات مصرية للجيب
رجل المستقبل

العين الثالثة

٤٤



د. نبيل فاروق

رجل المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٤٤

العين الثالثة

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]





العدد القادم : القضبان الحديدية

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ إلى الشروق ..

لمع البرق فى سماء مصر ، التى تلبدت بالغيوم ، وانهمرت مياه الأمطار فى الأسبوع الأخير من ديسمبر ، خلال واحدة من أشد الموجات الباردة ، التى هبت رياحها على جمهورية مصر العربية ..

ووسط الأمطار الباردة ، المنهمرة كالسيول ، عبرت سيارة (أدهم صبرى) ، و (منى توفيق) بوابة مبنى المخابرات العامة المصرية ، وقالت (منى) فى حنق ، وهى تضم أطراف معطفها الثقيل ، لتؤمن بعض الدفء لجسدها النحيل :

ــ يا له من يوم !! لولا استدعاء سيادة المدير لنا ، ما فكرت فى مغادرة فراشى قط .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ــ تذكرى يا عزيزتى أن المدير أيضاً قد غادر فراشه إلى هنا ، فى الجو نفسه .

غمغمت فى حنق :

— نعم .. في سيارة مكيفة الهواء ، وإلى مكتب ثماني
ضحك (أدهم) وهو يوقف سيارته ، وهبط منها بصحبة (مني) ، وأسرع الاثنان إلى داخل مبنى المخابرات ، وصعدا درجات السلّم إلى حجرة مدير المخابرات الحربية ، الذي استقبلهما في اهتمام ، مع نائبه الجديد ، الذي صافح (أدهم) في حرارة ، وقال :

— أنت إذن (ن — ١) ، الذي يطلقون عليه اسم (رجل المستحيل) .

ابتسم (أدهم) ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

— أعتقد ذلك ياسيّدي

انتزعهما مدير المخابرات من حديثهما ، قائلاً في اهتمام

— هل علمت بقصة شبكة الجاسوسية ، التي تم ضبطها بمصر في الأسبوع الماضي يا (ن — ١) ؟

أجابه (أدهم) باهتمام قائلاً ، وهو ينزع معطفه الثقيل

— لقد ألقت المباحث العامة القبض على جاسوسين ا —

قاطعه مدير المخابرات في جدّية

— وقد فرّ الثالث ، قبل أن يتم كشف الشبكة بأكملها ، وهو أخطر أفرادها ، أو بمعنى أدق هو زعيمها

هتف (أدهم) و (مني) في آن واحد :

— فرّ ؟!

أومأ مدير المخابرات برأسه إيجاباً في ضيق ، وقال :

— لقد فرّ بجواز سفر مزوّر ، على أول طائرة غادرت القاهرة ، قبل لحظات من الإيقاع بالشبكة

سأله (أدهم) في قلق :

— هل يحمل معه بعض المعلومات السرّية ؟

هزّ مدير المخابرات رأسه نفياً ، وقال :

— لا ، ولكن الأمر أخطر من ذلك بكثير

ثم التفت إلى (مني) ، وقال :

— أعتقد أن معطفك الثقيل لايناسب جو الحجرة الدافئ أيها النقيب

انتبهت (مني) إلى أنها لاتزال ترتدي معطف الفرو الثقيل ، فأسرعت تنزعه وهي تغمغم :

— معذرة ياسيّدي ، ولكن الجو بالخارج شديد البرودة و . .

قاطعها (أدهم) ، وهو يسأل مدير المخابرات في اهتمام

— أين تكمن الخطورة ياسيّدي ؟

أشار مدير المخابرات إلى نائبه الجديد ، وقال :

— سيشرح لكما العميد (شوقى) تفاصيل الأمر ، فهو الذى ألقى القبض على الشبكة كلها ، فى أثناء رئاسته للمباحث العامة ، وقبل انتقاله للعمل بيننا هذا الصباح .

التفت عينا (أدهم) و (منى) إلى العميد (شوقى) ، الذى تنحنح ، وقال :

— أنتما تعلمان أن كلمة جاسوس تطلق دائمًا على العميل الذى ينقل أسرار بلده إلى بلد عدوّ ، أما العميل الأجنبى ، الذى يبحث عن معلومات ، فنطلق عليه اسم (عين) .. وتلك الشبكة التى ألقينا القبض عليها كانت تتكوّن من ثلاث عيون ، وسبعة جواسيس .. ولقد قادتنا تحرّياتنا إلى كشف الشبكة بأكملها ، وأعددنا بالفعل خطّة ماهرة ، لإلقاء القبض على أفرادها جميعًا فى لحظة واحدة .. وفى أثناء تنفيذ الخطّة سقط عينان والجواسيس السبعة ، واختفت (العين الثالثة) تمامًا

غمغمت (منى) :

— العين الثالثة ؟!

تمتم مدير المخابرات ، وهو يلوّح بكفّه فى ضجر :

— هذا هو الاسم الكودى لتلك المهمة .

ابتسم العميد (شوقى) ، ثم عاد يستطرد :

— لقد كان (العين الثالثة) يعمل هنا ، فى أحد البنوك الأجنبية ، تحت اسم (أندريه جريج) .. ولقد غادر القاهرة فجأة .. بجواز سفر مزوّر ، إلى منطقة عمله الأصلية ، قبل إلقاء القبض على الشبكة بساعة واحدة

غمغم (أدهم) ، وكأنه يتساءل عن بعض التفاصيل :

— منطقة عمله الأصلية ؟!

ظهر شبح ابتسامة على شفتى العميد (شوقى) ، وهو يقول :

— يبدو أن هذا يحتاج إلى مزيد من التفاصيل

ثم اعتدل مستطردًا فى لهجة قوية :

— لم تكن هذه الشبكة تتبع (الموساد) ، كما تصوّر البعض ، ولكنها تتبع أشهر منظمة عالمية للتجسُّس التجارى

وأردف فى بطء :

— منظمة (سكوربيون) .

أطلقت (منى) صيحة دهشة ، على حين رفع (أدهم) حاجبيه ، وعاد يخفضهما وهو يبتسم فى سخرية ، ويغمغم :

— خصومنا القدامى إذن !

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

ــ أنت خصمهم اللدود يا (ن ــ ١) ، لقد حطمت مخططاتهم أكثر من مرة .

هتف العميد (شوقى) فى حرارة :

ــ لقد قرأت الملفات السرّيّة الخاصة بذلك ، ولقد كنت رائعًا يا (ن ــ ١) .

ابتسم (أدهم) وقال :

ــ شكرًا يا سيِّدى

ثم عادت ملامحه إلى جديتها ، وهو يردف :

ــ ولكننى لم أعرف بعد مدى الخطورة فى هروب هذا الرجل

قال العميد (شوقى) :

ــ تكمن الخطورة فى أنه الرجل الوحيد ، الذى يعلم كل شىء عن الشبكة ، وعن أفرادها الذين ربما لم نتوصَّل إليهم يا (ن ــ ١) ، لذا فنحن فى أشد الحاجة إلى استعادته

عقد (أدهم) حاجبيه ، وغمغم :

ــ استعادته ؟!

أومأ العميد (شوقى) برأسه ، وقال :

ــ نعم يا (ن ــ ١) .. إعادته إلى القاهرة ، وبحالة تسمح باستجوابه ، وإلا ظللنا نخشى وجود فرع آخر للشبكة طوال الوقت .

ساد الصمت لحظة ، ثم قالت (منى) :

ــ هل لدينا مزيد من المعلومات عنه يا سيِّدى ؟

قال العميد (شوقى) :

ــ نعم أيها النقيب .. إنه يرأس إحدى الشركات الخاصة ، التى نشأت مؤخرا بعد اتفاقية الوفاق الأخيرة ، و ...

قاطعته (منى) ، وهى تهتف فى دهشة :

ــ اتفاقية الوفاق ؟!

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

ــ هذا هو أصعب جزء فى المهمة فى الواقع أيتها النقيب ، ولقد ادخرناه إلى النهاية .

التقط العميد (شوقى) طرف الحديث ، وابتسم فيما يشبه الاعتذار ، وهو يقول :

ــ نعم أيها السادة ، إن مهمتكما هى القبض على (أندريه حريم) وإحضاره حيًّا معافى من ...

صمت لحظة ، ثم أردف فى بطء .

ـ من (موسكو) .

أطلق (أدهم) صفيرًا طويلًا من بين شفتيه ، على حين قفزت إلى رأس (منى) صورة قاتمة للثلوج لا نهاية لها ، والتابتها رجفة وهى تهتف :

ـ يا إلهى !! (موسكو) ؟. فى مثل هذا الوقت من السنة ؟

ضحك مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ نعم أيتها النقيب ، ستذهبان إلى (موسكو) رأسًا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ الذهاب لا يقلقنى يا سيدى ، ولكنها العودة ..

ثم اتسعت ابتسامته ، وحملتها بعض السخرية ، وهو يردف فى هدوء شديد :

ـ وحرصًا على أموال المخابرات ، أقترح أن أحصل وزميلتى على تذكرة بلا عودة .. إلى (موسكو) .

* * *

٢ ـ بلا عـــودة ..

ـ ثلاثون تحت الصفر ؟!.. يا إلهى !! وأنا التى كنت أرتجف بردًا فى مصر .

هتفت (منى) بهذه العبارة فى سخط ، وهى تتطلّع من نافذة الفندق الضخم ، إلى الثلوج الكثيفة ، التى تغطى كل شبر من مدينة (موسكو) ، وأطلق (أدهم) ضحكة خافتة ، ثم أشار بسبابته ، قائلًا :

ـ حذار يا عزيزتى ، فالسوفييت لن يعجبهم سخطك على طقسهم .

زفرت (منى) فى ضيق ، وقالت :

ـ وماذا يعنيهم من سخطى على طقسهم ؟.. وماذا لو علموا طبيعة مهمتنا ؟ و ....

قفز (أدهم) فجأة ، وأحاط فمها بكفّه ، يمنعها من مواصلة الحديث ، ثم قال فى لهجة بدت لها شديدة المرح :

ـ هل سنقضى وقتنا كله فى الفندق يا عزيزتى ؟.. دعينا نشاهد استعدادات عيد الميلاد فى (موسكو) .

تطلعت إليه (منى) فى دهشة ، وغمغمت فى استسلام :

ـــ حسنًا .. هيّا بنا .

* * *

التحقت (منى) وهى تسير إلى جوار (أدهم) ، وسط ثلوج (موسكو) الكثيفة ، على الرغم من معطفها الفراء الثقيل ، الذى تتدثر به ، وغمغمت فى حنق :

ـــ أهذا وقت الخروج إلى الطريق ؟ إن أنفاسى تتجمّد قبل أن تغادر شفتىّ .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـــ كان لابدّ لنا من ذلك ، قبل أن تشرحى خططنا كلها للسوفيت يا عزيزتى .

توقفت (منى) بغتة ، وسألته فى حنق :

ـــ هل لك أن تشرح لى معنى ذلك ؟

جذبها من معصمها ، ليحثها على مواصلة السير ، وهو يقول ضاحكًا :

ـــ لا تتوقفى يا عزيزتى ، وإلا تجمّدت برقًا .

ثم أردف فى جدّية :

ـــ لا تجعل سياسة الوفاق تخدعك يا عزيزتى .. صحيح أن

الاتحاد السوفيتى يتظاهر اليوم باتخاذ سياسة أكثر انفتاحًا ، ليبرهن على حسن نواياه تجاه الغرب ، ولكن هذا مجرّد إطار خارجى ، أما الصورة نفسها ، فلم تتبدل مطلقًا .

سألته فى اهتمام :

ـــ ماذا تعنى ؟

ابتسم وهو يقول :

ـــ هل تذكرين مهمتنا السابقة فى موسكو ؟..(*) إننا لم نستطع القدوم ـــ حينذاك ـــ إلا من خلال فوج سياحى ، أما الآن فالاتحاد السوفيتى يرحّب بالسائحين ، ولكنه مازال يعتبر كلًا منهم جاسوسًا ، حتى يثبت العكس .. وبناءً على ذلك ، زوّدت حجرات الفندق كلها بأجهزة التنصّت ، كما وضع السوفيت فى كل حجرة خطًا تليفونيًا منفصلًا ، حتى يمكن مراقبتها جميعًا .

غمغمت (منى) فى دهشة :

ـــ يا إلهى !!

مطّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

ـــ السوفيت أحرار فيما يتعلق بوسائل أمنهم يا عزيزتى ،

(*) راجع قصة (الخلد الدامى) .. المغامرة رقم (٥)

ولاتنسَ ذلك الصراع المستميت بينهم وبين الغرب ، على زعامة العالم ، ثم إنهم في أعماقهم شعب مكافح صنديد ، وهم في الواقع يديرون إعجابي بصلابتهم

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم قالت (منى) :

— ماذا عن (أندريه جريج) ؟

تنهّد (أدهم) ، وقال :

— إنه يرأس شركة لتوريد القمح إلى الاتحاد السوفيتي ، وهم يعاملونه هنا كأجنبي ، ولكنهم يهادنونه ، ويظهرون له الودّ ، نظرًا لخطورة منصبه بالنسبة لاحتياجاتهم إلى القمح

سألته :

— وكيف نستطيع الحصول عليه ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— سندفعه إلى التوسّل لنا ، أن نصطحبه معنا إلى القاهرة يا عزيزتي .

سألته في دهشة بالغة :

— كيف ؟

ابتسم في غموض وهو يقول :

— سترين يا عزيزتي .. سترين .

* * *

انعقد الرفيق (ياكوف) رئيس قسم مكافحة التجسّس ، وألقى نظرة فاحصة مدقّقة ، على الجندي الذي وقف أمامه في احترام ، مؤدّيًا التحية العسكرية على نحو مفرط في التبجيل ، ثم سأله في هدوء لا يخلو من الحزم :

— ماذا وراءك يا رفيق (كلانوفسكي) ؟

تنحنح (كلانوفسكي) ، وقال :

— لديّ رسالة شفهية ، من قسم التصنّت على الغرباء أيها الرفيق الجنرال

عقد (ياكوف) حاجبيه ، وقال في صرامة :

— إليّ بها

قال (كلانوفسكي) بلهجة آلية :

— وصل إلى الفندق الكبير رجل وامرأة مصريان ، ولقد قالت المرأة في أثناء حديثهما معًا : « ماذا سيفعل السوفيت لو علموا طبيعة مهمتنا ؟ » ، ولكن الرجل قاطعها على نحو مثير للشك ، وهو يقول في لهجة مرحة : « دعينا نخرج لمشاهدة استعدادات أعياد الميلاد يا عزيزتي » .

برقت عينا (ياكوف) ، وظهر الاهتمام واضحًا في ملامحه ، وهو يقول :

— طبيعة مهمتهما ؟

قال (كالانوفسكى) :

— نعم يا سيّدى الرفيق .

ساد الصمت لحظة ، ثم افتر ثغر (باكوف) عن ابتسامة واسعة ، تشبه ابتسامة القط ، حينما يكتشف وجود فريسته على بعد خطوات قليلة منه ، وقال :

— فما مهمة فى وطننا إذن !!

ثم عاد يعقد حاجبيه ، ويقول وكأنما يحادث نفسه :

— ولكن علاقاتنا بمصر جيّدة ، وهم لا يعمدون مطلقًا إلى التجسُّس علينا .

عاد الصمت يسود لحظة ، ثم نهض (باكوف) من مقعده ، وعقد كفّيه خلف ظهره ، وقد شفت ملامحه عن تفكير عميق ، ثم لم يلبث أن قال فى هدوء :

— أحطهما بمزيد من المراقبة يا رفيق (كالانوفسكى) .. وعند أول بادرة شك ، سنرسلهما فى طرد مضمون إلى (سيبريا) ، كهدية عيد ميلاد .

* * *

٣ — التحدِّى ..

رفع (أندريه جريج) عينيه الزرقاوين ، يتأمّل فى (أدهم) بنظرة فاحصة ، ثم أزاح خصلة نافرة من شعره الأشقر الناعم ، وابتسم ابتسامة واسعة ، وهو يلقى نظرة سريعة على (منى) ، وقال :

— هل لى أن أتشرّف بمعرفة سبب هذه الزيارة ، يا سيّد .....؟

أجاب (أدهم) فى هدوء :

— (أشرف صابر) .. مندوب من وزارة الزراعة المصرية ، وهذه زوجتى السيّدة (منى توفيق)

بدت ابتسامة (أندريه) غامضة ، وهو يقول :

— هكذا ؟!.. وماذا تريد منى وزارة الزراعة المصرية يا سيّد (أشرف) ؟

قال (أدهم) فى هدوء :

— نريد عقد صفقة ، لتوريد عشرة آلاف طن قمح إلى مصر .

وقع (أندريه) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وابتسم في خبث وهو يقول :

— عجبًا !!.. ولماذا لم ترسلك وزارة الزراعة المصرية إلى الشركة الأم في الولايات المتحدة الأمريكية ؟.. إنني هنا مجرد مدير مكتب محدود المسئولية و...

قاطعه (أدهم) في هدوء :

— ستحصل على عمولتك بالطبع

تطلّع إليهما (أندريه) بنظرات مارقة ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة ماكرة ، ومال نحوهما قائلًا :

— إنها لاتبدو لي خطة محكمة ياسيّد (أدهم) .

رفعت (منى) حاجبيها في دهشة ، حينما خاطب الرجل (أدهم) باسمه ، ولكن (أدهم) ظلّ هادئًا ، وهو يقول :

— لقد قدمتُ لك أبدًا بيانًا ، بدلًا من كشف الأوراق كلها دفعة واحدة أيها الوغد

أطلق (أندريه) ضحكة قصيرة ، وقال وهو يشير إلى وجه (أدهم) :

— إنك حتى لم تستطع ملامحك كعادتك ياسيّد (أدهم) .. هل نسيت أن كل فرد في (سكوربيون) يحفظ ملامحك عن ظهر قلب ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (أدهم) ، وقال :

— يبدو أنك لاتخشى أجهزة التصنُّت السوفيتية أيها الوغد .

ضحك (أندريه) في خبث ، وقال :

— لقد أبطلنا مفعولها كلها ياسيّد (أدهم) .

ثم أردف في لهجة مفاخرة :

— إن (سكوربيون) منظمة قوية ، تمتلك تكنولوجيا متطورة ياسيّد (أدهم) .. ولن أكون مبالغًا ، لو قلت إنها تفوق كل أجهزة الاستخبارات في العالم أجمع .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، على حين عاد (أندريه) يميل نحوه ، قائلًا في صرامة :

— ماذا تريد بالضبط ياسيّد (أدهم) ؟

اعتدل (أدهم) في مقعده ، وقال في هدوء :

— أريد منك أن تعود معنا إلى القاهرة ياسيّد (أندريه) .

حدّق (أندريه) في وجه (أدهم) بدهشة ، على حين تطلّعت (منى) إلى (أدهم) في حيرة ، دون أن تفهم سرّ هذه المصارحة العجيبة ، وبعد فترة قصيرة من الدهشة ضحك (أندريه) في توتر ، وقال :

هل تتصوّر أن أطيعك ببساطة (أدهم) ؟. هل تظن أنني أخشاك كما يفعل البعض ؟

قال (أدهم) في هدوء ، ودون أن تفارق الابتسامة شفتيه :

— سأدفعك دفعًا إلى ذلك .

بدت عبارة (أدهم) مفعمة بالتحدّي ، حتى أن ملامح (أندريه) امتلأت بالغضب ، وهو يقول :

— هل تراهن ؟

وبهدوء شديد ، وبنفس الابتسامة الساخرة ، قال (أدهم) :

— أراهن .

مال (أندريه) نحوه ، وقال في تحدّ :

— إذا نجحت في دفعي إلى العودة معكما إلى القاهرة ، فسأدلي باعتراف صريح دون مناقشة ، فور وضع قدميّ على الأراضي المصرية .

ثم ابتسم في تحدّ ، وأردف :

— وإذا فشلت في دفعي إلى ذلك خلال أسبوع واحد ، فسأعمل على إرسالكما إلى (سيبيريا) .

نهض (أدهم) ، وقال في تحدّ :

— اتفقنا .

نهض (أندريه) بدوره ، ومدّ يده ليصافح (أدهم) ، ولكن (أدهم) ابتسم في سخرية ، وقال :

— لم أعتد مصافحة الأوغاد .

ثم أمسك معصم (منى) ، التي لم يفارقها الذهول بعد ، واتجه إلى باب الخروج ، ولكن (أندريه) أوقفه ، قائلًا :

— مهلًا يا رجل المخابرات المصرية .

استدار (أدهم) و (منى) في هدوء ، فطالعهما مسدس صغير يصوّبه إليهما (أندريه) ، وهو يردف في غضب :

— ماذا يمنعني من قتلكما الآن ؟

أجابه (أدهم) في هدوء ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

— لأن مسدسك غير مزود بكاتم الصوت ، ورصاصة واحدة في (موسكو) ، يكفي صوتها لإحاطة المدينة كلها برجال الأمن ، ثم إن إخراج جثتينا من هنا يكاد يكون مستحيلًا .. فلا ريب أن سلطات (موسكو) تراقبك طوال الأربع والعشرين ساعة يوميًا ، بعد أن أبطلت مفعول أجهزة التصنّت الخاصة بهم .

احتقن وجه (أندريه) غضبًا ، وقال وهو يلقى مسدسه فى درج مكتبه :

ـــ أسبوع واحد ياسيد (أدهم) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـــ ستطأ قدماك أرض مصر قبل نهاية أيها الوغد .

ازداد احتقان وجه (أندريه) ، وهو يراقب مغادرة (أدهم) و (منى) حجرته ، ثم ضغط زرًا صغيرًا ، مخفيًا بمهارة فى ركن مكتبه ، فدلف إلى حجرته رجل طويل القامة ، قوى الجسم ، بادره (أندريه) ، قائلًا :

ـــ هل سمعت حديثنا يا (هيومان) ؟

غمغم (هيومان) فى ضيق :

ـــ سمعته ، ولم يعجبنى يامستر (أندريه) .

ابتسم (أندريه) ، وقال وهو يرفع سماعة الهاتف :

ـــ ولكننى أعتقد أنه سيعجب الرفيق (باكوف) كثيرًا .

عقد (هيومان) حاجبيه ، وغمغم وهو يرقب (أندريه) ، الذى يدير قرص الهاتف :

ـــ أظننى سمعتك تقول أسبوعًا كاملًا ؟

ضحك (أندريه) ، وقال :

ـــ القواعد وضعت لنخرقها يا عزيزى (هيومان) .

ثم رسم على شفتيه ابتسامة واسعة ، وهو يقول فى الهاتف :

ـــ كيف حالك يا عزيزى الرفيق (باكوف) ؟.. أنا (أندريه جريج) ، من شركة القمح العربية ، لدىّ هنا أخبار ستسيل لها لعابك .

* * *



هل تتصوّر أن أطيعك يا سيد (أدهم) ؟ .. هل تظن أنني أمتثل لك كما يفعل العبيد ؟

قال (أدهم) في هدوء ، ودون أن تفارق الابتسامة شفتيه :

— سأدفعك دفعًا إلى ذلك .

بدت عبارة (أدهم) مفعمة بالتحدي ، حتى أن ملامح (أندريه) امتلأت بالغضب ، وهو يقول :

— هل تراهن ؟

وبهدوء شديد ، وبنفس الابتسامة الساخرة ، قال (أدهم) :

— أراهن .

مال (أندريه) نحوه ، وقال في تحدٍّ :

— إذا نجحت في دفعي إلى العودة معكما إلى القاهرة ، فسأقبل باعتراف صريح دون مناقشة ، فور وضع قدميّ على الأراضي المصرية .

ثم ابتسم في تحدٍّ ، وأردف :

— وإذا فشلت في دفعي إلى ذلك خلال أسبوع واحد ، فسأعمل على إرسالكما إلى (سيبيريا) .

نهض (أدهم) ، وقال في تحدٍّ :

— اتفقنا .

نهض (أندريه) بدوره ، ومدّ يده ليصافح (أدهم) ، ولكن (أدهم) ابتسم في سخرية ، وقال :

— لم أعتد مصافحة الأوغاد .

ثم أمسك معصم (منى) ، التي لم يفارقها الذهول بعد ، واتجه إلى باب الخروج ، ولكن (أندريه) أوقفه ، قائلًا :

— مهلًا يا رجل المخابرات المصرية .

استدار (أدهم) و (منى) في هدوء ، فطالعهما مسدس صغير يصوّبه إليهما (أندريه) ، وهو يردف في غضب :

— ماذا يمنعني من قتلكما الآن ؟

أجابه (أدهم) في هدوء ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

— لأن مسدسك غير مزود بكاتم للصوت ، ورصاصة واحدة في (موسكو) ، يكفي صوتها لإحاطة المدينة كلها برجال الأمن ، ثم إن إخراج جثتينا من هنا يكاد يكون مستحيلًا .. فلا ريب أن سلطات (موسكو) تراقبك طوال الأربع والعشرين ساعة يوميًّا ، بعد أن أبطلت مفعول أجهزة التصنت الخاصة بهم .

٤ ـــ وبدأت المطاردة ..

سارت (منى) إلى جوار (أدهم) وسط الثلوج صامتة ، ولم يكد الاثنان يبتعدان عن شركة القمح العربية ، حتى هتفت في حنق :

ـــ لست أفهم سر هذا التحدى العجيب ، إنك تزيد الأمر تعقيدًا

ابتسم وهو يقول في هدوء :

ـــ امتحنى نفسك يا عزيزتى .

هتفت في غضب :

ـــ امتحن أنت نفسك أولًا ، ودعنى أفهم ما ترمى إليه و .....

وبترت عبارتها فجأة ، وهى تغمغم :

ـــ يا إلهى !! . هناك رجلان يتبعاننا ، منذ مغادرتنا الشركة يا (أدهم)

أجابها في هدوء :

ـــ أنت قوية الملاحظة يا عزيزتى ، ولكن فاتك أنهما يتعقبانا قبل دخولنا أيضًا

ازداد وجهها شحوبًا ، وهى تغمغم :

ـــ يا إلهى !!.

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـــ سيزداد الأمر صعوبة ، بعد أن يبلغ (أندريه) مكتب مكافحة التجسُّس السوفيتى عنّا يا عزيزتى

سألته وهى ترتعد بردًا ، وخوفًا :

ـــ وهل سيفعل ؟

أجابها في هدوء :

ـــ بالطبع يا عزيزتى .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم هتفت في غضب :

ـــ لماذا دفعته إلى ذلك إذن ؟

جذبها من ذراعها فجأة إلى شارع جانبى ، خال من المارة ، وازدادت سرعته وهو يتحرك داخله ، على حين اضطرت هى للعدو خلفه ، وهى تهتف :

ـــ ماذا تفعل ؟

أوقفها فجأة ، ثم ترك ذراعها ، وعاد أدراجه في سرعة إلى

ولم يكد كل منهما يلمح ابتسامة (أدهم) الساخرة حتى توقفا فجأة ، وامتدت أيديهما إلى معاطفهما .

مدخل الشارع الجانبي .. ولم يكد يصل إليه ، حتى ظهر الرجلان اللذان يتعقبانه ، وهما يعدوان ، خشية أن تفلت منهما الطريدة .. ولم يكد كل منهما يلمح ابتسامة (أدهم) الساخرة ، حتى توقفا فجأة ، وامتدت أيديهما إلى معاطفهما ، وهنا قال (أدهم) بالروسية :

ــ لا أسلحة أيها الرفاق .

كانت لهجته الروسية سليمة ، حتى أن أصابع الرجلين تجمدت فجأة ، على مقبض مسدسيهما ، وقد ظنا أنهما يواجهان أحد مواطنيهما .. وفي لحظة التجمُّد هذه ، انبعث حرارة القتال في جسد (أدهم) .

انطلقت قبضة (أدهم) إلى فك الرجل الأول في قوة ، ألقته أرضاً ، في نفس اللحظة التي غاصت فيها قدمه في معدة الثاني .. وقبل أن ينهض الرجلان القويان لمواصلة القتال ، عادت قبضة (أدهم) اليمنى ترتطم بأنف الأول ، وهوت قبضته اليسرى على فك الثاني ، وانتهى القتال في لحظات .

التقط (أدهم) مسدسي الرجلين بسرعة ، ثم ناول أحدهما إلى (مني) ، وقال في لهجة متهكمة :

ــ ها قد حصلنا على سلاحين يا عزيزتي .

ثم التقط يدها ، وأسرع بها إلى نهاية الشارع ، وهي تهتف في حنق :

ــ إنك تزيد الأمور تشابكًا وتعقيدًا يا (أدهم) .

قال وهو ينحني بها إلى طريق آخر رئيسي :

ــ اطمئني يا عزيزتي .. هذا هو ما أسعى إليه بالضبط .

توقفت بغتة ، وجذبت ذراعها من يده في قوة ، وقالت في صرامة :

ــ تسعى لأن نصبح مطاردين في روسيا بأكملها ؟!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وقال في هدوء :

ــ نعم يا عزيزتي ، وهذا لا يقلقني .. فما هي إلا ساعة واحدة ، ويختفي (أشرف صابر) و (منى توفيق) من روسيا تمامًا .

* * *

أغلق (باكوف) سماعة الهاتف ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وعقد حاجبيه وقد ارتسمت في ملامحه دلائل التفكير العميق ، فسأله زميل مكتبه (إيفانوف) :

ــ ماذا حدث يا رفيق (باكوف) ؟

تطلع إليه (باكوف) بعينين شاردتين ثم تنهد ، وقال :

ــ هناك أمور غامضة تحدث في (موسكو) ، لا أفهمها ، وهذا يثير غضبي .

اعتدل (إيفانوف) ، وظهر الاهتمام في ملامحه وهو يقول :

ــ أية أمور ؟

نقر (باكوف) بأصابعه على سطح مكتبه لحظات ، ثم قال :

ــ هذا الصباح التقطت أجهزة التصنُّت في الفندق الكبير ، حديثًا مثيرًا للريبة ، بين مصري وزوجته .. ولقد أصدرت أوامري بتشديد المراقبة عليهما ، ولقد توجّها إلى شركة الغلال العربية ، التي يرأسها هذا الرجل المريب (أندريه جريج) ، الذي أفسد أجهزة التصنُّت الخاصة بنا ، ثم غادراها بعد نصف ساعة فقط ، وبعد مغادرتهما تمامًا ، اتصل بي (أندريه) هذا ، وأخبرني أنهما ينتميان إلى جهاز المخابرات المصري ، وبعد مكالمته بربع ساعة ، اتصل بي أحد رجالنا ، وقال إنهما تخلّصا من المراقبة ، ولم نعد نهتدي لأثرهما .

هتف (إيفانوف) في ذعر :

ــ يا للشيطان !!

ثم اعتدل في حركة حادة ، وتابع فيما يشبه الصياح :

— إنهما جاسوسان يا (باكوف) .. لا مجال للشك .

أومأ (باكوف) برأسه في هدوء ، وقال :

— أعلم ذلك أيها الرفيق (إيفانوف) ، وأراهنك أنهما ما قدما إلى هنا إلا من أجل (أندريه جريج) هذا .

هتف (إيفانوف) في غضب :

— وهل سنتركهما مطلقي السراح هكذا في (موسكو) ؟. أنت تعلم أن هذا قد يفقدنا منصبينا .. بل قد يتسبب في نفينا إلى (سيبيريا) أيضا .

ابتسم (باكوف) ابتسامة شفّت عن ذكاء شديد ، وقال في هدوء :

— لن نفعل يا (إيفانوف) .. إنهما سيعودان إما إلى الفندق ، أو إلى (أندريه) .. وحتى يفعلا ، سأصدر أوامري بفحص أوراق كل رجل وامرأة في (موسكو) .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف في برود :

— وسيكون عليهما أن يكمنا إلى حين العاصفة ، حتى يمكنهما الإفلات يا عزيزي الرفيق (إيفانوف) .. لقد حبسناهما في (موسكو) .

* * *

٥ — خُطَّة الشيطان ..

شهر الجندي السوفيتي مدفعه الرشاش ، في وجه رجل طويل القامة ، مفتول العضلات ، أشقر الشعر ، أزرق العينين ، تسير إلى جواره حسناء شقراء ، لها عينان في لون السماء ، حينما تنعكس صورتها على الثلوج ، وصاح في صرامة :

— أوراقك .

ظهر القلق على وجه الرجل ، وقال وهو يخرج أوراقه في بطء :

— إننا لم نخطئ في شيء ، أيها الرفيق الجندي .

كان يتحدث بروسية شعبية ، لا يرقى إليها الشك ، ففحص الجندي أوراقه على عجل ، وناوله إياها ، وهو يقول لرفيقته :

— أوراقك أيضا .

تناول الأشقر من رفيقته أوراقها ، وناولها إلى الجندي ، الذي فحصها وهو يغمغم :

— أنت (لوجا) ؟

حدقت الشقراء فى وجهه ، وكأنها لا تفهم ما يقول ، ثم رفعت عينين حائرتين إلى رفيقها ، الذى ربت على كتفها فى رفق ، وقال للجندى :

— زوجتى خرساء بكماء أيها الرفيق الجندى ، وهذا مدوّن فى أوراقها .

اطلع الجندى بسرعة ، على الفقرة التى توضح ذلك فى الأوراق ، ثم ناولها إلى الأشقر ، والتفت إلى مواطن آخر ، صائحا بالصرامة نفسها :

— أوراقك .

جذب الأشقر زميلته ، وابتعد بها عن الجندى .. ولم يكد يفعل ، حتى زفرت فى ضيق ، وغمغمت باللغة العربية :

— يا إلهى !! .. إنها خامس مرة يفحصون فيها أوراقنا خلال ساعتين فقط .

ابتسم الأشقر ، الذى لم يكن سوى بطلنا (أدهم صبرى) ، وقال :

— (موسكو) كلها تحت طلبنا يا عزيزتى ، ولكن أوراق صديقنا الدين (قدرى) تصنع المعجزات .

سألته فى حنق :

— ألم يحن الوقت بعد لتشرح لى خطتك الإنجالية هذه ؟

هز كتفه ، وهو يقول :

— إنها ليست لخطة إيجابية يا عزيزتى ، لقد وضعت المخابرات المصرية تفاصيل هذه الخطة بأكملها .. أما عن الزميل الذى يقيم هنا فى (موسكو) ، فهو رجلنا الدائم هنا ، وهو الذى أتى لنا أدوات التنكر .

سألته فى دهشة :

— ولكن ماذا تقصد الإدارة بهذه الخطة ، التى أعتبرها سخيفة للغاية ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

— لقد سقط ذلك الوغد (أندريه جريج) فى الفخ ، دون [illegible] يا عزيزتى .. لقد كشفت له شخصيتى ، وأثرت قلقه ، حتى إنه سيسارع بإبلاغ السلطات السوفيتية عنا ، وبعدها [illegible] عن المراقبة ، ونختفى تماما فى قلب (موسكو) .. [illegible] أسمائهم سواء ، وسيعتصرونه عصرا ، فى محاولة [illegible] كل ما لديه من معلومات عنا .. وبطبيعتهم المرونة فى [illegible] لن يصدقوا حرفا واحدا مما سيدلى لهم به ، خاصة أنه [illegible] السبب الرئيسى لوجودنا .. ومعلوماتهم السابقة

تؤكد أنه لا عداء ، أو حرب باردة بين (مصر) و (روسيا) ، لذا فسيحكمون حصارهم حوله ، وسيضيقون عليه الخناق ، حتى يتسلل الفزع إلى قلبه ، ويحاول الفرار ، ولكنهم لن يسمحوا له بمغادرة البلاد ، ما دمنا لم نظهر بعد ، وهنا لن يكون أمامه سوانا ، وسيتوسل لنا — حينذاك — أن نعاونه على الفرار

استمعت إليه (منى) في دهشة حتى انتهى ، ثم غمغمت :

— يا لها من خطة !!

وأسرعت تردف في اهتمام :

— وماذا علينا أن نفعل ، حتى يصل إلى تلك المرحلة ؟

هز (أدهم) كتفيه ، وقال في هدوء :

— سننتظر فقط يا عزيزتي

ثم أمسك يدها ، وقال :

— التزمي الصمت يا زميلتي العزيزة .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت جندي سوفيتي آخر ، يقول في صرامة :

— أوراقك .

* * *

استدار (أندريه) إلى رفيقه (هيرمان) ، الذي اقتحم مكتبه بادي القلق ، وسأله في توتر :

— ماذا وراءك ؟.. لم تبدو هكذا ، وكأنك رأيت الشيطان نفسه ؟

أشار (هيرمان) إلى باب المكتب ، وقال في ذعر :

— لقد حضر بنفسه إلى هنا .

سأله (أندريه) في سخرية :

— الشيطان ؟!

هز (هيرمان) رأسه نفيا في قوة ، وقال بصوت غلبه الانفعال :

— غريبا .. إنه الرفيق (باكوف) .

انتفضت أطراف (أندريه) ، وهو يقول في ذعر :

— الرفيق (باكوف) ؟!

وفجأة .. دفع (باكوف) الباب ، وتقدم إلى الداخل ، ومنح (أندريه) نظرة صارمة ، جمدت الدم في عروقه ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، قائلا في هدوء :

— كيف حالك أيها الرفيق (أندريه) ؟

عجز (أندريه) عن النطق لحظة ، ثم خرج صوته من بين شفتيه شاحبا كوجهه ، وهو يغمغم :

— بخير حال أيها الرفيق (باكوف) ، بخير حال .

مط (باكوف) شفتيه ، ونظر إلى (هيرمان) ، وهو يقول في صرامة :

— أريد أن نتحدث وحدنا أيها الرفيق (أندريه) .

أسرع (هيرمان) يغادر الحجرة ، وهو ينتفض ذعرًا ، على حين دلف (إيفانوف) إلى الحجرة ، وأغلق الباب خلفه ، فتمتم (أندريه) في رعب :

— لقد قلت وحدنا أيها الرفيق (باكوف)

قال (باكوف) بصوت أشد برودة من ثلوج روسيا في الشتاء :

— نحن وحدنا أيها الرفيق (أندريه) .

تطلع (أندريه) إلى (إيفانوف) ، الذي انتحى ركنا جانبًا ، وأشعل واحدة من السجائر الروسية ، ذات الرائحة النفاذة ، وراح ينفث دخانها في هدوء مخيف ، ولكن (أندريه) لم يجرؤ على الاعتراض ، وابتلع ريقه في صعوبة ، ثم غمغم في صوت مختنق :

— حسنًا أيها الرفيق (باكوف) .

جلس (باكوف) فوق المقعد المواجه لـ (أندريه) وحدق في عينيه مباشرة ، ثم قال في هدوء :

— هل تعمل في المخابرات الغربية أيها الرفيق (أندريه) ؟

انتفض جسد (أندريه) في ذعر ، وهتف :

— أنا ؟!! مطلقًا أيها الرفيق .. كيف دارت هذه الفكرة برأسك ؟ و ...

قاطعه (باكوف) في برود :

— كيف علمت بأمر فرقتي المخابرات المصرية إذن ؟

بهت (أندريه) ، وشحب وجهه على نحو واضح ، فهو لم يكن يتوقع مثل هذا السؤال ، عندما أبلغ (باكوف) عن [illegible]) و (منى) ، وزاد من ارتباكه تلك النظرات [illegible] التي كان (باكوف) يرمقه بها ، كما لو كان ينفذ إلى [illegible] ، فتمتم (أندريه) وهو يقول :

— إنهما اللذان أخبراني و .....

قاطعه (باكوف) مرة أخرى :

— كاذب !

[illegible] (أندريه) وتلعثم ، وفجأة خيل إليه أنه قد [illegible] المخرج ، فهتف :

— لقد أردت العمل لحساب المخابرات المصرية ، ولكنني [illegible] لأبلغكما عنها

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (إيفانوف) ، على حين غمغم (باكوف) فى هدوء :

ــ هكذا ؟!

ثم مال نحو (أندريه) ، وقال :

ــ هل قدما إلى مكتبك ، وأخبراك فى صراحة ، أنهما من المخابرات المصرية ، وطلبا منك العمل لحسابهما ؟

شعر أندريه بالفخ ، الذى يقوده إليه (باكوف) فى هدوء ، وزاد هذا من ارتباكه وجزعه ، فانكمش فى مقعده ، وغمغم :

ــ هذا ما حدث أيها الرفيق .

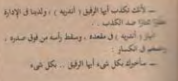
ظلّ (باكوف) يحدّق فى عينى (أندريه) لحظة ، ثم نهض من مقعده ، وشبّك أصابع كفّيه خلف ظهره ، وقال :

ــ حسنًا أيها الرفيق (أندريه) .. سنصحبنا إلى الإدارة ، وتدلى بأقوالك هذه هناك

ازداد شحوب وجه (أندريه) ، حتى بات من العسير تمييز ملامحه ، من الشحوب التى تغطى حافة نافذته ، وغمغم

ــ لماذا الإدارة أيها الرفيق ؟

عقد (باكوف) حاجبيه ، وقال فى صرامة



ــ لأنك تكذب أيها الرفيق (أندريه) ، ولدينا فى الإدارة علاج فعال ضد الكذب ..

انهار (أندريه) فى مقعده ، وسقط رأسه من فوق صدره ، وتمتم فى انكسار :

ــ سأخبرك بكل شىء أيها الرفيق .. بكل شىء

* * *



٦ ـ الفشل ..

استمع (ياكوف) في صبر واهتمام ، إلى كل كلمة نطق بها (أندريه) ، ثم قال في برود :

ـ أنت ما زلت تكذب أيها الرفيق (أندريه) .

هتف (أندريه) في صوت مختنق :

ـ كيف أيها الرفيق الجنرال .. لقد اعترفت لكم بأنني أعمل لحساب (سكوربيون) ، وأنني كنت أقوم بمهمة تجسس في مصر حينما سقطت شبكتي هناك في أيدي المصريين ، ونجحت أنا في الفرار ، وجاء خلفي هذا الشيطان المصري و ....

قاطعه (ياكوف) :

ـ كذب أيها الرفيق .. إنك تضفي صفات أسطورية على هذا الضابط المصري ، وهذا يؤكد كذبك .. فما من مخلوق في أركان العالم كلها ، يمتلك هذه المهارات مجتمعة .

ازداد انكماش (أندريه) في مقعده ، وغمغم :

ـ ولكنها حقيقة أيها الرفيق الجنرال .

ثم تذكر فجأة أمرًا غاب عن ذهنه ، فهتف في أمل :

ـ إنه الرجل نفسه ، الذي أوقع (إيفان مالاخوف) ، مدير شرطة (موسكو) السابق ، ونجح في الفرار منكم على متن واحدة من طائراتكم (الميج) ، وبصحبته سوفيتية تدعى (ألكسى)(*) .

جاء دور (ياكوف) ليشحب وجهه ، وهو يغمغم في ذهول :

ـ كيف وصلتك كل هذه المعلومات أيها الرفيق ؟.. إنها تندرج تحت قائمة أكثر المعلومات سرّيّة ، ونحن لم نشر إليها قط .

ثم عقد كفّيه خلف ظهره ، وقال في صرامة :

ـ يبدو لي أنك شخص أشد خطورة ، مما كنا نتصوّر أيها الرفيق (أندريه) ، ولا أعتقد أننا سنتخلّى عنك بسهولة .

صرخ (أندريه) في فزع :

ـ كلّا .. كلّا .. يمكنني أن أعاونكم في القبض عليه

(*) راجع قصة (الخلود الدامي) . المغامرة رقم (٥) .

تألقت ابتسامة غامضة على شفتي (ياكوف) ، وقال في بطء :

ـ سنفعل أيها الرفيق .. سنفعل .

* * *

على بعد أمتار قليلة من الشركة الغربية للغلال ، همس (أدهم) في أذن (منى) :

ـ يبدو أن أصدقاءنا السوفيت ، قد بدءوا حصارهم لذلك الوغد .. فهذه السيارة التي تقف أمام شركته تؤكد أن لديه زائرًا يحمل رتبة جنرال على الأقل .

لم يكد (أدهم) يتم عبارته ، حتى برز وجه (ياكوف) فجأة من نافذة مكتب (أندريه) ، وصاح في رجال الحراسة ، الذين يملئون الطرقات ، بكلمات آمرة ، أسرع بعدها رجال الحراسة يعدون في كل اتجاه ، وغمغم (أدهم) في لهجة تشف عن القلق :

ـ يا إلهي !!.

سألته (منى) ، التي لم تفهم حرفًا واحدًا من كلمات (ياكوف) ، في ذعر :

ـ ماذا حدث ؟

جذبها (أدهم) من يدها ، وأسرع بها الخطا ، وهو يقول :

ـ لقد أمر هذا الرجل حراسه بالانتشار ، في مساحة نصف كيلومتر حول الشركة ، وتفتيش كل رجل وامرأة في هذا النطاق .

هتفت (منى) في فزع :

ـ ولكن لماذا ؟

قال (أدهم) وهو يزيد من سرعة حركته :

ـ أعتقد أن (أندريه) قد انهار سريعًا يا عزيزتي .

* * *

تطلع (إيفانوف) إلى (ياكوف) بعينين ملؤهما الدهشة ، وتساءل في حنق :

ـ ماذا تعني أوامرك الأخيرة هذه ؟

ابتسم (ياكوف) ابتسامة ، جعلته أشبه بالثعلب ، وقال في خبث :

ـ تعني الكثير أيها الرفيق (إيفانوف) .

ثم أضاف في دهاء :

ـ مادام ضابط المخابرات المصرى هذا ينتظر استسلام

(أندريه) فلابُدّ له من أن يحُوم حول شركته معظم الوقت .. ولو أنه حقًا الرجل الذى ذكره (أندريه) ، فهذا يعنى أنه يجيد التحدّث بالروسية ، كأحد أبنائها ، ويجيد التنكّر إلى نحو مذهل ؛ لذا فالوسيلة الوحيدة للإيقاع به ، هى العثور على المسدّسين ، اللذين اغتصبهما من رجلى المراقبة .

رفع (إيفانوف) حاجبيه ، وعاد يخفضهما وهو يبتسم فى إعجاب ، مغمغمًا :

ـــ أنت داهية أيها الرفيق الجنرال .

ابتسم (ياكوف) ، وقال فى هدوء مغرور :

ـــ إنها حرب ثعالب يا عزيزى الرفيق (إيفانوف) .

فى اللحظة نفسها كان (أدهم) يحث الخطا ، محاولًا تجاوز منطقة الحصار ، وهو يجذب خلفه (منى) ، ويحاول فى الوقت نفسه عدم جذب الانتباه إليهما .. وفجأة .. وفى أثناء دورانه حول أحد المنعطفات ، وجد نفسه أمام بعض الجنود السوفيت ، الذين يقومون بتفتيش المارة .

حاول (أدهم) أن يعود أدراجه مع (منى) ، ولكنه رأى بعض الجنود يحتلون مدخل الشارع من الناحية الأخرى ، ويقومون بالتفتيش بدورهم ..

غمغمت (منى) فى توتّر :

ـــ كل أبواب المنازل مغلقة .. لن يمكننا الإفلات .

لم يجبها (أدهم) على الفور ، ولكن ملامحه نمّت عن القلق البالغ ، الذى يعصف بنفسه ، وهو يتلفت حوله بحثًا عن مخرج ، ثم توقفت عيناه عند أحد الجنود ، وهو يقوم بتفتيش أحد المارة ، وغمغم فى قلق :

ـــ يا إلهى !!.. المسدسان .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم تابع فى هدوء :

ـــ سيكشف المسدسان أمرنا يا (منى) .

سألته فى فزع :

ـــ هل نلقيهما ؟

هزّ رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

ـــ سيراهما الجميع ، فالثلوج تغطى كل مكان ، وسيبدو مسدس معدنى كنقطة من الحبر الأسود ، على سطح ناصع البياض .

غمغمت (منى) فى يأس :

ـــ لافائدة إذن .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم همس (أدهم) في حزم ، يشف عن اتخاذه لقرار خطير :

— هل تعرفين موقع السفارة المصرية في (موسكو) يا (منى) ؟

أجابته في دهشة :

— بالطبع .

تنهد في ارتياح ، وقال وهو يشد على يدها في قوة :

— ما أن يبدأ القتال ، ابتعدي بسرعة ، وانطلقي فورًا إلى السفارة المصرية ، واطلبي مقابلة السفير ، وسيفهم الأمر في سرعة ، فلقد أبلغته الإدارة عنهما ، كما يقتضي العرف .

هزت رأسها نفيًا في قوة ، وقالت :

— لن أتركك وحدك .

بدت لها نظراته صارمة مخيفة ، وهو يقول :

— هذا أمر أيتها النقيب .

التمعت عيناها بالدموع ، وهي تقول في لهجة أقرب إلى الضراعة :

— كلا يا (أدهم) .. أرجوك .

التقط المسدس الآلي من حقيبتها في خفة ، ودسه في جيب معطفه ، وأزاحها عنه في هدوء ، وهو يكرر :

— هذا أمر .

شخصت (منى) ، وهي تشاهده يبتعد عنها في خطوات سريعة ، إلى حيث يقف جنود التفتيش :

— (أدهم) .

كانت تعلم أنه يضحي بنفسه من أجلها ، ومن أجل مصر

* * *



٧ ـ تحت الصفر ..

تقدم (أدهم) بخطوات واثقة ، هادئة ، نحو الجنود السوفيت ، وقال لأحدهم في هدوء :

ـ أفسح الطريق أيها الرفيق الجندي .

رفع الجندي مدفعه الرشاش في وجه (أدهم) ، وقال في صرامة :

ـ ارفع يديك للتفتيش .

وفي سرعة مذهلة خرجت يدا (أدهم) من جيبي معطفه ، وبسرعة البرق هوت قبضته كالقنبلة على وجه الجندي ، الذي ترنح ، ودارت رأسه ، وجحظت عيناه وهو يهوي أرضًا ، وتحرك الجنود الآخرون في سرعة ، فاندفعوا نحو (أدهم) من كل صوب ، ومدافعهم الرشاشة مصوبة إلى جسده ، ولكنه قفز قفزة مذهلة ، عبر بها أجساد أربعة جنود في مواجهته ، وهبط خلفهم ، ثم انتزع من جيبي معطفه المسدسين ، وأطلقهما في آن واحد ..

سبع طلقات دوت متعاقبة ، حتى لقد ظنها الجميع [illegible]صاصتين لا أكثر ..

وطارت المدافع الرشاشة من أيدي الجنود السبعة الذين [illegible] ، فلم يتحرك أحدهم خطوة واحدة ، حينما مرق [illegible] من بينهم ، واندفع يعدو كالصاروخ فوق الثلوج ..

[illegible] الجنود السبعة من ذهولهم بسرعة ، وعادوا يختطفون مدافعهم الرشاشة ، ويمطرون (أدهم) برصاصاتها ..

[illegible] (أدهم) برصاصات السوفيت تتناثر حوله ، دون أن [illegible] واحدة منها ، فزاد من سرعة عدوه ، حتى اقتحم العش [illegible] الأحمر ، على الرغم من الثلوج الزلقة ، [illegible] فوقها .

[illegible] .. برز أمامه عدد من الجنود السوفيت ، داخل [illegible] كبيرة ، وتوقف (أدهم) دفعة واحدة ، ورفع [illegible] في وجه السيارة ، ولكنه [illegible]

[illegible] جسده توازنه مع ذلك التوقف المفاجئ وسط الثلوج ، [illegible] ، وأفلت أحد المسدسين من قبضته .. ولم يكد [illegible] مواصلة القتال ، حتى وجد أمامه خمسة مدافع [illegible] ، تطل منها الموت ، وسمع صوتًا صارمًا يقول :

— حركة واحدة ، وتتحوّل إلى مصفاة .

كانت مواصلة القتال في هذه الحالة تُعدّ ضربًا من الجنون ، لذا فقد ابتسم (أدهم) في سخرية ، وألقى المسدس الثاني ، وهو يقول بالروسية :

— إنني أفضل الاحتفاظ بجسدي كما هو أيها الرفيق .

تناهى إلى سمعه في تلك اللحظة صوت أقدام تقترب منه ، وفجأة هوى على رأسه شيء ثقيل ، وأظلمت الدنيا أمامه ، ثم سقط فاقد الوعي .

وشاهدت (منى) — من خلال دموعها — الجنود السوفيت ، وهم يحملون (أدهم) إلى السيارة ، التي انطلقت مبتعدة ، فازداد انهمار الدموع من عينيها ، وغمغمت في صوت متحشرج :

— وداعًا يا (أدهم) .. وداعًا يا (رجل المستحيل) .

* * *

— رسالة من (موسكو) يا سيّدي .

نطق المقدم (حازم عبد الله) بهذه الكلمات ، في صوت تغلب عليه رنّة الحزن والانفعال ، فرفع مدير المخابرات المصرية عينيه إليه ، وسأله في توتر :

— من (أدهم) ؟

هز (حازم) رأسه نفيًا في هدوء ، وأجاب :

— لا يا سيّدي .. من سفارتنا هناك .

تملّك الانفعال مدير المخابرات ، فهتف في لهفة :

— اقرأها بالله عليك .

قال (حازم) ، وهو يعقد حاجبيه حزنًا :

— يقول سفيرنا هناك ، إن النقيب (منى توفيق) قد حضرت إليه ، ودموعها منحدرة على وجنتيها ، وأخبرته أن السوفيت ألقوا القبض على (أدهم) ، وأن المهمة قد فشلت .

تمتم مدير المخابرات في ألم :

— فشلت ؟!

ثم عاد يسأل في لهفة :

— وماذا أصاب (أدهم) ؟

أجابه (حازم) في حزن :

— لا أحد يعلم شيئًا عن مصيره يا سيّدي .. آخر ما رأته (منى) هو الجنود السوفيت ، وهم يحملونه فاقد الوعي ، إلى مكان مجهول .

تراجع مدير المخابرات في مقعده ، وبات من الواضح أن الحزن يعتصر نفسه ، وهو يقول :

— فاقد الوعي ؟!

ثم نهض من مقعده ، وسار في الحجرة ، وهو يشبك أصابع كفيه خلف ظهره ، ومرّت فترة طويلة من صمت ثقيل ، قبل أن يقول مدير المخابرات في صوت يغلّب عليه الحزن :

— اتصل برئاسة الجمهورية يا (حازم) .. لابد لنا من بدء مفاوضات استعادة (أدهم) على الفور ..

تردّد (حازم) لحظة ، ثم قال :

— ألا ننتظر قليلاً حتى تتضح الأمور يا سيّدي ؟

عاد مدير المخابرات إلى صمته دقيقة كاملة ، ثم غمغم :

— لقد عملت سفيرًا لمصر في الاتحاد السوفيتي عامين ، قبل أن أتولى هذا المنصب يا (حازم) ، وأعرف طبيعة السوفيت جيّدًا .

صمت لحظة أخرى ، ثم أردف في صوت حزين :

— مالم نبدأ التفاوض في الحال ، يمكنك اعتبار هذه آخر مهام (رجل المستحيل) .

* * *

[illegible] (أدهم) وعيه في بطء ، وشعر ببرودة قارصة في [illegible] ، ففتح عينيه في هدوء ، وطالعته صورة مهتزة ، لم تكد [illegible] تتضح ، حتى تبيَّن له وجه (باكوف) ، وسط زنزانة [illegible] الجدران ، لها نافذة واحدة ، تعلو عن الأرض بثلاثة [illegible] كاملة ، وباب ضخم من الصلب ، ومصباح ضعيف [illegible] .

[illegible] (أدهم) في سخرية ، على الرغم من الدوىّ [illegible] الذي يعصف برأسه ، وقال بلغة روسيّة سليمة :

— [illegible] أنت أيها الرفيق (باكوف) ؟

[illegible] (باكوف) حاجبيه ، وقال في برود :

— أنت تعرفني إذن !!.. من أنت بالضبط ؟

[illegible] (أدهم) ، وهو يعتدل جالسًا :

— مندوب من وزارة الزراعة المصرية ، واسمي (أشرف [illegible]) .

[illegible] (باكوف) في صرامة :

— ولماذا لم تبلغنا السلطات المصرية بقدومك ؟

[illegible] (أدهم) كتفيه ، وقال :

— لأنني لم آت في مهمة رسمية .

٨ ــ الجليد الساخن ..

تحرك مدير المخابرات المصرية من مكتبه بتوتر .. ولم يكد يسمع صوت طرقات منتظمة على باب حجرته ، حتى صاح في لهفة :

ــ ادخل يا (حازم) .

دلف (حازم) إلى الحجرة في هدوء ، وأغلق بابها خلفه ، وسأله مدير المخابرات في اهتمام :

ــ بم أجابوا ؟

قال (حازم) في ضيق :

ــ يقولون إن الأمر أخطر من أن نتخذ فيه قرار سريع .. ستعنى أية خطوة من جانبنا أننا متورطون في الأمر ، وسيعطى هذا فرصة للسوفيت لفرض شروط ، قد تؤدى إلى توتر العلاقات بين الدولتين .

عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وهو يقول في ضيق :

ــ إنها السياسة مرة أخرى

أجابه (حازم) في صوت خافت :

ــ إنهم أيضاً يعملون لمصلحة مصر يا سيدى

فتمتم مدير المخابرات :

ــ أعلم ذلك يا (حازم) .. أعلم ذلك .

ثم أطل من نافذة مكتبه ، وهو يستطرد :

ــ إننا نتقاضى مرتباتنا من أجل هذا وحده .

* * *

استدار (باكوف) ليغادر زنزانة (أدهم) الصغيرة العادية ، وصحب بجسده ذلك الجندى ، الذى يمسك مدفعه الرشاش .. وهنا تحرك (أدهم) في سرعة ..

انقض فجأة على (باكوف) ، وجذبه من عنقه في قوة ، في الوقت نفسه الذى تحركت فيه ساقه اليسرى ، وركلت المدفع الرشاش من يد الجندى .. وقبل أن يستوعب أثر المفاجأة ، كان (أدهم) قد التقط المدفع الرشاش في يمناه ، وضغط على عنق (باكوف) بساعده الأيسر في قوة ، وقال في صرامة :

ــ إننى لا أنوى قضاء الليل وسط الثلوج أيها الرفيق ، خاصة بعد أن انتزعتم معطفى وقفازاتى

وقف الجندى مبهوتاً ، مذهولاً ، لا يجرؤ على إتيان حركة



وقبل أن يمحى أثر المفاجأة ، كان (أدهم) قد
التقط المدفع الرشاش فى يده ..

واحدة ، على حين صاح (باكوف) بصوت مختنق ، من أثر ضغط (أدهم) القوى على عنقه :

ـــ هل أصابك الجنون ؟.. من المستحيل أن تفر من هنا .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـــ هل تراهن ؟!

هتف (باكوف) :

ـــ مستحيل .. سيكون عليك أن تعبر ممرًا طويلًا ، يموج بعشرات من جنود الأمن ، والخروج من بوابة الإدارة و .....

ضحك (أدهم) فى سخرية ، وشدد من ضغط ساعده على عنق (باكوف) ، وهو يقول :

ـــ لن أفعل ذلك وحدى .

ثم أردف فى صرامة :

ـــ ستساعدنى على الخروج من هنا أيها الرفيق (باكوف)

صرخ (باكوف) فى حزم :

ـــ مستحيل .. مستحيل .

* * *

شد جنود إدارة مكافحة التجسس قامتهم ، وصنع صوت

أقدامهم دويًا فى الممر الطويل ، حينما عبره (أدهم) فى خطوات واسعة ، وهو يرتدى زى (باكوف) ويرخى قبعته الرخية ، لتخفى الجزء الأكبر من وجهه ، وساعده معطف (باكوف) الثقيل على إخفاء نصف وجهه السفلى .. ولم يكد يصل إلى آخر الممر ، حتى قال فى صوت يستحيل تمييزه من صوت (باكوف) ، وبنفس لهجته :

— نفذوا ما أمرتكم به .

ثم اندفع إلى الخارج ، وتوجّه من فوره إلى سيارة (باكوف) ، التى فتح سائقها بابها الخلفى فى احترام ، وأسرع بحتل مقعد القيادة ، وأدار المحرك ، ثم رفع عينيه إلى مرآة السيارة ، وهو يقول فى احترام :

— إلى أين أيها الرفيق الجنرال ؟

لم يكد السائق يتم عبارته ، حتى جحظت عيناه ، وهتف وهو يركزهما على وجه الرجل ، الذى يبدو واضحًا فى مرآته :

— ولكنك لست ....

بتر عبارته فجأة ، حينما شعر بفوهة مسدس باردة ، تلتصق بمؤخرة عنقه ، وسمع صوت (أدهم) يقول فى سخرية :

— إلى أى مكان خارج هذا الحصن الحصين أيها الرفيق السائق .. هذا إذا كنت تفضل الحياة على الموت

وبدون تبادل كلمة أخرى زائدة ، انطلق السائق بالسيارة ، حتى مدخل إدارة مكافحة التجسس ، وهناك أوقفه رجال الأمن ، وقال أحدهم فى هدوء :

— أوراقك أيها الرفيق الجنرال .

تناول (أدهم) أوراق (باكوف) من معطفه ، وناولها لرجل الأمن ، وهو يزيد من إرخاء قبعته ، لإخفاء وجهه تمامًا ، وألقى رجل الأمن نظرة خاطفة على الأوراق ، ثم أعادها إلى (أدهم) ، وغمغم فى اعتذار :

— معذرة أيها الرفيق الجنرال .. إنها الأوامر

وأشار بيده ، فانفتح جانبا البوابة ، وأدار السائق محركات السيارة مرة أخرى .

وفجأة .. اندفع حندى من مبنى الإدارة ، وصرخ فى انفعال :

— أوقفوا السيارة ، إنه رجل زائف .

وهنا دفع (أدهم) فوهة مسدسه فى عنق السائق ، وصاح فى صرامة :

— انطلق

وانطلقت السيارة كالصاروخ .

* * *

لم تمض لحظات قصار ، حتى اندفعت سيارتان مصفحتان خلف سيارة (أدهم) ، الذى قفز فى مهارة إلى المقعد المجاور للسائق ، وصاح به :

ـــ زد من سرعتك أيها الوغد .

هتف السائق فى رعب :

ـــ هذا مستحيل يا سيدى .. ستنزلق السيارة على الثلوج لو فعلت .

رأى (أدهم) فى مرآة السيارة المصفحتين تقتربان فى سرعة ، فدفع السائق وهو يقول :

ـــ اقفز إذن .

وكأنما كان السائق ينتظر هذه العبارة .. فلم يكد (أدهم) ينطق آخر حروفها حتى قفز السائق من السيارة ، وتركها تنطلق وحدها ..

وفى لمح البصر احتل (أدهم) مقعد القيادة ، وعاد يسيطر على السيارة وزاد من سرعتها إلى نحو جنونى ، وهو يقبض على عجلة قيادتها بقبضة كالفولاذ .

كان الليل قد أرخى سدوله ، وانتشر الجليد كثيرًا ، وباتت القيادة على هذا النحو ضربًا من الجنون .. ولكن (أدهم) لم

يتوقف ، ولم يقلل من سرعته قط ، حتى اتسعت المسافة بينه وبين المصفحتين ، وهنا انحرف فى طريق جانبى ، وأوقف السيارة فى هدوء ، وقفز منها ، وابتعد فى خطوات سريعة ، حتى غاب وسط الظلام ..

كان (أدهم) يسير فى سرعة مقصودة للانتباه ، ولكن الزىّ الروسىّ ، الذى كان يرتديه ، منع جنود الحراسة كلهم من مجرد الاقتراب منه ..

وكان يسير فى اتجاه يعرفه جيّدًا ، حتى وصل إلى وجهته ، وتقدّم من بوّابتها فى ثقة ، إلا أن حارس البوّابة الروسى أوقفه ، وسأله فى احترام :

ـــ معذرة أيها الرفيق الجنرال ..هل لى أن أطّلع على أوراقك ؟.. أكرّر اعتذارى ، ولكن الأوامر تمنع دخول أى مخلوق إلى السفارة المصرية ، بعد منتصف الليل .

أطلّت من عينى (أدهم) نظرة ، ومال حتى أصبح وجهه على بعد سنتيمترات قليلة من الجندى ، وقال بالروسية :

ـــ ألا تعرف من أنا أيها الرفيق الجندى ؟

ارتبك الجندى المسكين ، وحاول جاهدًا أن يتذكّر هذه الملامح ، ولكنه فشل تمامًا ، فغمغم فى توتّر :

ــ إنها الأوامر أيها الرفيق الجنرال .

قال (أدهم) في غلظة ، تمتزج في صيغها بالغضب :

ــ أنا الذى يصدر هذه الأوامر أيها الرفيق الجندى .

ارتجف جسد الجندى ذعرًا ، واعتدل في وقفته العسكرية ، وهو يقول في احترام :

ــ عفوك أيها الرفيق الجنرال .

حدجه (أدهم) بنظرة أخرى صارمة ، ثم عبر بوابة السفارة المصرية بخطوات ثابتة ، مرفوع الرأس .. ولم يكد يفعل ، حتى تملكه انفعال شديد ، وأطلق من صدره زفرة قوية .. فها هو ذا أخيرًا فوق أرض مصرية

* * *

٩ ــ لا أيها الفشل ..

انخرطت (منى) في بكاء شديد ، داخل الحجرة التى استضافها فيها السفير المصرى ، في (موسكو) ، وهي تستعيد كل ذكرياتها مع (أدهم) ..

لم تنكر في هذه اللحظة أنها تحبه ، فقد كانت تشعر بقلبها يتمزّق لفقده ، ومشاعرها تنهار من أجله ..

كانت دموعها تغطّى وجهها ، عندما سمعت صوت طرقات هادئة على باب حجرتها ، فأسرعت تجفّف دموعها ، وتقول في صوت متحشرج ، من أثر البكاء :

ــ من الطّارق ؟

سمعت صوت السفير يقول :

ــ هل تسمحين لى بدقيقة من وقتك يا آنستى ؟

قالت في ضيق :

ــ بلا شك يا سيّدى السفير .

دخل السفير إلى حجرتها في هدوء ، وتطلّع إلى عينيها المحمرّتين ، وسألها في إشفاق :

ـ أما زلت تكرهه يا آنستي ؟

عادت الدموع تنهمر من عينيها ، وهي تعتصر في ألم :

ـ سأبكيه العمر كله يا سيّدي

سألها في هدوء :

ـ كنت تحبّينه إذن ؟!

أجابته في حرارة :

ـ نعم .. وياليتني أخبرته بذلك قبل أن أفقده .

تسلل إلى مسامعها ـ حينئذ ـ صوت هادئ حنون ، يقول :

ـ مازالت أمامك فرصة مناسبة يا عزيزتي .

التفتت (مني) بمشاعرها كلها إلى مصدر الصوت ، وانطلقت من أعماق قلبها صرخة تموج بالدهشة والحنان ، وهي تهتف :

ـ (أدهم) ؟!

حاولت أن تلقي نفسها بين ذراعيه ، ولكن مشاعرها قاست في أعماقها ، فتفجّرت من عينيها دموع غزيرة ، وهتفت في فرح شديد :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

غالبت دمعة حنون عيني السفير ، وسالت على وجنته ، حينما احتوى (أدهم) كفّيْ (مني) في راحتيه ، وهمس في حنان :

ـ لقد عدت من أجلك يا عزيزتي .

ثم أردف وهو يبتسم :

ـ ما رأيك أن أستغل الفرصة ، وأطلب منك الزواج مني ؟

هتفت في حرارة ، وهي تملأ عينيها بوجهه :

ـ إنني أوافق يا (أدهم) .. أوافق في هذه المرّة بلا تردّد.

اتسعت ابتسامة (أدهم) ، وهمس :

ـ يا إلهي !!.. هذا هو انتصاري الحقيقي يا (مني)

مسح السفير دموعه ، وصبغ صفحته بالمرح وهو يقول :

ـ سأعد إجراءات عودتكما إلى القاهرة على الفور و .....

استدار إليه (أدهم) ، وقاطعه قائلاً :

ـ ليس بعد يا سيّدي .

هتفت (مني) :

ـ ولكن يا (أدهم) .....

قاطعها (أدهم) مرّة ثانية :

ـ لن نعود قبل أن ننهي مهمتنا يا (مني) .. فأنا لا أميل للمهمات الفاشلة ، وسنحتفل بزواجنا في القاهرة ، بعد أن نعود بهذا الوغد (أندريه) بإذن الله .

سأله السفير في اهتمام :

ـ أنت تنوي الاستمرار إذن ؟

أجابه (أدهم) في حزم :

ـ نعم يا سيدي السفير .. سأواصل المهمة حتى النصر .

* * *

امتلأت ملامح (ياكوف) بالغضب ، وأخذ يدور في أرجاء حجرته كالليث الجريح ، حتى أن (إيفانوف) هتف به :

ـ اهدأ أيها الرفيق الجنرال .. إنه لم يغادر (روسيا) بعد .

قال (ياكوف) في حنق :

ـ لن يغادرها إلا جثة هامدة .

ثم استدار إلى (إيفانوف) ، وصاح في حدة :

ـ هل تعلم أنه أول شخص ينجح في الفرار من إدارة مكافحة التجسس ؟

واستطرد في انفعال شديد :

ـ إنها أول مرة أشعر فيها بمرارة الفشل .. ولقد وعدت الرؤساء بإلقاء القبض عليه ، وإرساله إلى (سيبريا) قبل أعياد الميلاد .

نظر إليه (إيفانوف) في دهشة ، وغمغم :

ـ لقد حصرت نفسك في دائرة بالغة الضيق أيها الرفيق الجنرال .. فستبدأ احتفالات أعياد الميلاد ، بعد أقل من أربعين ساعة .

غمغم (ياكوف) في صرامة :

ـ إنها تكفيني .

همس (إيفانوف) في حيرة :

ـ ولكن كيف ؟

اعتدل (ياكوف) ، وشبك أصابع كفه خلف ظهره ، وصمت لحظة ، ثم قال في حزم :

ـ سيقودنا إليه (أندريه) .

مال (إيفانوف) نحوه ، وسأله في اهتمام :

ـ كيف ؟

تطلع إليه (ياكوف) لحظة ، ثم رفع رأسه ، وقال :

ـ جرت العادة في أعمال المخابرات خارج البلاد ، أن يتم إبلاغ السفير بنوع العملية ، حرصا على الوجه السياسي في حالة

فشلها ، ولاريب أن المصريين يتعمدون القاعدة نفسها ، وسنعلى هذا .

عاد (إيفانوف) يسأله في إصرار :

ـــ كيف ؟

تألقت عينا (ياكوف) ببريق عجيب ، وهو يقول :

ـــ سترى أيها الرفيق ... سترى .

* * *



١٠ ـــ العودة ..

اقتحم المقدم (حازم عبد الله) حجرة مدير المخابرات المصرية ، وهو يهتف في فرح :

ـــ لقد عاد (أدهم) يا سيّدى ، ووصل إلى سفارتنا في (موسكو) .

قفز مدير المخابرات من خلف مكتبه ، وهتف في فرح مماثل :

ـــ عاد ؟! .. ياله من رجل !! كنت أعلم أنه لن يستسلم بسهولة .

ثم أردف وهو يلوّح بكفّه في انفعال :

ـــ إنه قادر على هزيمة القوات السوفيتية كلها وحده .

هتف المقدم (حازم) في سعادة :

ـــ إنه يطلب الاستمرار في المهمة يا سيّدى .

تلاشى فرح مدير المخابرات بغتة ، وعقد حاجبيه وهو يغمغم في قلق :

— الاستمرار ؟!

غمغم (حازم) ، وقد خفت فرحة بدوره :

— هذا حظه يا سيدى .

ظل مدير المخابرات صامتاً بعض الوقت ، ثم غمغم :

— خطأ يا (حازم) .

واستدار إلى (حازم) ، مردفاً فى حزم :

— أبرق إليه أن المهمة قد انتهت يا (حازم) ، واطلب منه العودة إلى مصر بأسرع فرصة ممكنة .

التفت عينا (حازم) ، وغمغم فى حيرة :

— ولكن يا سيدى .

قاطعه مدير المخابرات فى حزم :

— هذه الأمور تخضع لاعتبارات كثيرة أيها الملازم ، وبالنسبة لنا سيكون من المستحيل أن نستمر فى تحدى السلطات السوفيتية ، حرصاً على العلاقة بين دولتينا .

صمت لحظة ، ثم أردف فى هدوء :

— سنتخلى عن (العين الثالثة) ، ولنسعد أنهم رجالنا (رجل المستحيل) .

* * *

عقد (أدهم) حاجبيه ، وغمغم فى غضب :

— أنهيت المهمة ؟!... لماذا ؟

مط السفير شفتيه ، وقال :

— لست أدرى أيها العقيد ... إنها أوامر إدارة المخابرات العامة .

ظهر الغضب على وجه (أدهم) ، وقال فى ضيق :

— يمكننا أن نجرى محاولة أخيرة على الأقل .

هز السفير رأسه نفياً فى هدوء ، وقال :

— مستحيل أيها العقيد ... لا يمكنك مخالفة الأوامر .

لوح (أدهم) بكفيه فى حنق ، وسمع (منى) تقول فى حنان :

— دائماً نعد يا (أدهم) .

غمغم فى ضيق :

— إننى أكره الفشل يا (منى) .

أرادت أن تهدئ من حدة غضبه ، فربتت على كتفه فى حنان ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها السكرتير الأول للسفارة ، وقال للسفير فى قلق :

— هناك أمريكى ينتظر فى قاعة التشريفات ، ويطلب مقابلة العقيد (أدهم صبرى) ياسيدى .

ظهرت الدهشة على وجهى السفير و (ميى) ، على حين عقد (أدهم) حاجبيه ، وغمغم :

ـــ ما اسمه ؟

أجابه سكرتير السفارة :

ـــ قال إنه يدعى (أندريه جريج) .

تبادل (أدهم) و (ميى) والسفير نظرات الدهشة ، ثم أسرع السفير يقول :

ـــ أخبره بأننا لانعرف من يدعى (أدهم صبرى) و ....

قاطعه (أدهم) فى اهتمام :

ـــ مهلاً ياسيّدى .. قابله فى مكتبك ، وأخبره أننى لست هنا ، واطلب منه أن يبلغك ما يريد .

هتف السفير :

ـــ ولكن الأوامر .....

قاطعه (أدهم) :

ـــ سأتحمّل النتائج ياسيّدى .

كانت لهجة (أدهم) حازمة ، حتى أن السفير صمت لحظة ، ثم قال :

ـــ حسنًا أيها العقيد .. سأقابله .

* * *

تلفّت (أندريه) حوله فى قلق ، وهو يعبُر حجرة السفير ، وصافحه بيد مرتجفة ، ثم قال :

ـــ أين السيّد (أدهم صبرى) ؟

أجابه السفير فى هدوء :

ـــ إنه لايقيم هنا ، ولكننى أعدك بإبلاغه أيّة رسالة تطلبها .

تردّد (أندريه) لحظة ، ثم قال فى همس :

ـــ أريد السفر إلى القاهرة .

ابتسم السفير ، وقال :

ـــ هذا لايحتاج إلى السيّد (أدهم) بالذات .. يمكنك تقديم طلب و ....

قاطعه (أندريه) فى توتر :

ـــ لايمكننى السفر بالوسائل التقليدية ياسيّدى .. إننى أطلب من السيّد (أدهم) إخراجى من (روسيا) ، بأيّة وسيلة يراها .

غمغم السفير فى سخرية :

ـــ عملية تهريب إذن ؟.. هذا لايدخل فى نطاق عمل السفارة ياسيّد (أندريه) .

ظهر الألم فى وجه (أندريه) ، وقال فى همس :

— هل توجد أجهزة تنصت هنا يا سيادة السفير ؟
هز السفير رأسه نفيا في هدوء ، وقال :
— مطلقا .. ولكن ربما تحمل أنت بعضها .
ظهر اليأس على وجه (أندريه) ، وقال :
— اسمع يا سيدي .. أبلغ السيد (أدهم) أنني قد خسرت الرهان ، وسأنتظره في مكتبي في السادسة من مساء اليوم .. أبلغه ذلك فقط .
ابتسم السفير في هدوء ، وقال :
— سأفعل يا سيد (أندريه) .. كن مطمئنا .
غادر (أندريه) السفارة على عجل ، فأسرع (أدهم) و (منى) إلى مكتب السفير ، الذي قال :
— لقد تركت جهاز الاتصال الداخلي مفتوحا ، ولا شك أنكما سمعتما الحوار كله .
قال (أدهم) :
— نعم يا سيدي .. ويبدو أن مهمتنا ستنجح ، بسبب جبن هذا الرجل .
غمغمت (منى) في قلق :
— ربما كانت خدعة يا (أدهم) .

قال في حزم :
— سأخاطر يا عزيزتي (منى) .
سأله السفير ، وهو يعقد حاجبيه في توتر :
— هل تعني أنك ستذهب إليه في الموعد ؟
هز (أدهم) كتفيه ومط شفتيه ، وهو يقول :
— بلا شك .. إنها فرصتنا الأخيرة لإنجاح المهمة .
ساد بينهم صمت قلق ، ثم عاد السفير يسأل (أدهم) :
— ولكن كيف ستخرجه من (روسيا) ؟ .. إنهم لن يسمحوا لكم بالسفر ولا ريب .
أخرج (أدهم) من جيبه خريطة للاتحاد السوفيتي ، فردها فوق مكتب السفير ، وقال :
— لقد أعددت مشوارنا لحظة الهرب مسبقا .. فالبلد الوحيد الذي يمكن اللجوء إليه ، هو (فنلندا) ، لذا فبعد استلام (أندريه) لنا .. سنتخذ طريق (موسكو) — (لينينجراد) ، ومن هناك ننطلق صوب الحدود (الفنلندية) .
غمغم السفير في قلق :
— هذا يبدو سهلا على الورق أيها العقيد .. ولكن السوفيت يحيطون حدودهم بستار حديدي ، يستحيل اختراقه

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وقال :

— هذا هو تخصُّصى ياسيِّدى .

غمغم السفير في دهشة :

— تخصُّصك ؟!

ابتسمت (منى) ، وهي تقول :

— هذا صحيح .. إنه يُدعى (رجل المستحيل) .

• • •

١١ — الفـخ ..

جلس (باكوف) على مقعد (أندريه) ، وخلف مكتبه ، وقد شبك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، وأخذ يحرِّك المقعد في هدوء ، يمنةً ويسرةً ، وهو يتطلّع إلى (أندريه) بنظرات باردة ، أثارت خوفه ، فغمغم في انكسار :

— لقد نفَّذت أوامرك كلها أيها الرفيق (باكوف) .

قال (باكوف) في هدوء :

— المهم أن يحضر هذا الشيطان إلى هنا .

ازدرد (أندريه) لعابه في صعوبة ، وغمغم :

— سيحضر أيها الرفيق الجنرال ، سيحضر في موعده تمامًا .

ابتسم (باكوف) ابتسامة باردة ، وقال :

— سيكون هذا من حُسن حظك أيها الرفيق (أندريه) .. من حُسن حظك بالفعل .

• • •

سار (أدهم) إلى جوار (منى) صامتًا ، في طريقهما إلى شركة الغلال العربية ، وسألته (منى) في هدوء :

— أما زلت غاضبًا ؟

قال فى ضيق :

— إنك لا تطيعين الأوامر أيتها النقيب .. لقد أمرتك بعدم مغادرة السفارة .

ضحكت وهى تتعلّق بذراعه ، قائلة :

— أنت نفسك تخالف الأوامر ، باستمرارك فى المهمة ، فكيف تطلب منّى طاعتها ؟

ابتسم لدعابتها ، وغمغم :

— الأمر بالغ الخطورة يا (منى) ، وربما كان (أندريه) يخدعنا .

ابتسمت فى خجل ، وهى تقول :

— حينئذ سأكون إلى جوارك ، ولن أفقد زوج المستقبل فى سهولة .

ربّت على كفّها فى حنان ، وسألها :

— هل تحتفظين فى حقيبتك بالمسدس ، الذى أعارنا إيّاه السفير ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

— إننى أحتفظ به محشوًا ، ومستعدًا للعمل

بدأت الثلوج تنهمر فى غزارة ، فحث (أدهم) الخطا وهو يقول :

— أسرعى يا عزيزتى .. إنها الخامسة وأربعون دقيقة .

تبعته فيما يشبه العدو ، وهى تقول :

— لقد وصلنا تقريبًا ، ونحن نحمل ملامح تنكّرية جديدة و ....

قاطعها بإشارة من يده ، وعقد حاجبيه وهو يتأمّل مبنى الشركة بعين فاحصة ، فسألته (منى) فى صوت خافت :

— هل تتوقّع شيئًا ؟

أجابها فى هدوء :

— المكان يبدو هادئًا يا (منى) ، ولكن انهمار الثلوج أخفى كل الآثار المحيطة بالشركة .

عادت تسأله :

— عمّ تبحث بالضبط ؟

أجابها بنفس الهدوء :

— عن آثار عجلات سيارة عسكرية .

امتلأ صوتها بالقلق ، وهى تسأله هذه المرّة :

— هل تتوقّع فخًا ؟

ابتسم وهو يقول :

— لابد لى من أن أفعل يا (منى) .

مضت فترة وهما يراقبان المكان ، ثم قال (أدهم) فى حزم :

— هيّا بنا يا (منى) .

وسارا جنبًا إلى جنب ، وبخطوات واثقة إلى الشركة .

* * *

نهض (أندريه) من خلف مكتبه فى خفة ، وأسرع يصافح (أدهم) فى قوة ، وهو يهتف :

— شكرًا لقدومك ياسيِّد (أدهم) .. إننى أستسلم ، وأعطى حسابك الرهان .

جذب (أدهم) كفّه من بين يدى (أندريه) ، وسأله فى برود :

— متى نصبح مستعدًا للخروج من هنا ؟

أجابه (أندريه) فى خفة :

— وقتما تشاء ياسيِّد (أدهم) .

ثم أردف فى اهتمام :

— وسأعاون المخابرات المصرية بقدر استطاعتى ، اعترافًا منّى بالجميل

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— سيكون ذلك على الرغم منك أيها الوغد .

هتف (أندريه) :

— كما تشاء يامستر (أدهم) .. كما تشاء .

ثم أشار إلى خريطة للاتحاد السوفيتى ، فوق حائط مكتبه ، وقال :

— أى طريق سنتخذ فى هروبنا يامستر (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— الطريق إلى (تركيا) .

ابتسمت (منى) بدورها ، وهى تتأملهما من أمام النافذة الزجاجية ، فقد كانت تعلم أن طبيعة (أدهم) الكتوم ، قد جعلته يخدع (أندريه) فى وصف طريق الهروب .

لاحظ (أدهم) ابتسامتها ، فابتسم بدوره ، ولكن ابتسامته تلاشت فجأة .. فقد رأى ذعرًا هائلًا يرتسم فجأة فى عينى (منى) ، وهى تحدّق فى نقطة ما خلفه ، ثم رآها تنتزع مسدسها من حقيبتها ، وتطلق النار .

وفجأة .. انطلقت عدة أعيرة نارية من فوهة مدفع رشاش ، وقفز (أدهم) جانبًا ، ثم اتسعت عيناه فى ذعر ،

فقد رأى الرصاصات القاتلة تخترق جسد (منى) ، ورآها تندفع إلى الخلف ، وتحطّم زجاج النافذة ، ثم تهوى ، والدماء تنزف من جسدها الضئيل ، من الطابق التالى للشركة ، فصرخ فى ألم :

— (منى) !!

ثم استدار فى غضب هائل ، يواجه اثنى عشر من الجنود السوفيت ، ورشاشاتهم ، وعلى رأسهم الرفيق (باكوف) .

* * *




١٢ ـــ الغضب الرهيب ..

لا أحد فى العالم كله ، يمكنه أن يصف كل هذا القدر من الغضب ، الذى عصف بنفس (أدهم) ، حينما رأى (منى) تهوى أمامه من النافذة ..

لقد حوّله الغضب إلى وحش كاسر ، وضاعف من قدراته الخارقة عشرات المرات ..

انقض على الجنود السوفيت كالصاعقة ، فحطّم فك أولهما بلكمة كالقنبلة ، وهشم أنف التالى بأخرى ساحقة ، وشجّ رأس الثالث بثالثة ماحقة ..

كانت أطرافه الأربعة تتحرك فى سرعة مذهلة ، وغضب رهيب ، وتساقط الجنود السوفيت حوله ، كالذباب يقتله مبيد حشرى قوى ، على الرغم من كونه أعزل ، أمام مدافعهم الرشاشة القوية ..

ولكن الغضب الشديد أفقد (أدهم) أهم مميزاته .. الهدوء وحسن التدبير ..

— ماذا تحمل هذه المرة ؟

قال (حازم) :

— لقد خالف (أدهم) الأوامر ، وذهب إلى (أنقرة) .

امتقع وجه مدير المخابرات ، وقال في صوت متحشرج :

— وماذا بعد ؟

حرك (حازم) رأسه في حيرة ، وقال :

— لقد اختفى بعدئذ تمامًا ياسيدي .

غاص مدير المخابرات في مقعده ، وغمغم في شحوب :

— اختفى ؟!

ثم أشعل إحدى سجائره في عصبية ، وقال :

— أبرق إلى رجال مكتبنا السري هناك يا (حازم) ، واطلب منهم جمع كل المعلومات الممكنة .. وبأقصى سرعة .

وأردف في توتر زائد :

— إنه أخطر موقف تعرض له (ن — ١) حتى الآن .

* * *

زفر (إيفانوف) في ضيق ، وهو يدخل مكتب (باكوف) ، الذي تابعه في لهفة ، وأشعل (إيفانوف) واحدة من سجائره ، ذات الرائحة النفاذة ، ونفث دخانها في حنق ، فسأله (باكوف) ، الذي لم يعد يستطيع كتمان لهفته :

— هل حصلت على اعتراف كامل منه ؟

مط (إيفانوف) شفتيه ، وهز رأسه نفيًا ، ثم قال في حدة :

— مطلقًا .. إنه أكثر من قابلت في حياتي كلها صلابة لقد عرضناه للصدمات الكهربائية ثلاث مرات ، وانتزعنا اثنين من أظفاره ، وتركنا جروحه تنزف ، بعد أن أغرقناها بالملح ، ولكنه ظل يبتسم في سخرية ، دون أن ينطق بكلمة واحدة .

ظهر الغضب على وجه (باكوف) ، وهتف :

— ألهبوه بالجراح .. احرقوا أطرافه .. المهم أن أحصل على اعتراف كامل منه .

هز (إيفانوف) رأسه نفيًا ، وقال :

— لن تحصل منه على كلمة واحدة ، فهو طراز مختلف من الرجال .. طراز من فولاذ لا ينكسر .

زفر (باكوف) ، وزمجر في غضب ، ثم قال في عصبية :

— ناولني إحدى سجائرك .

تطلع إليه (إيفانوف) في دهشة ، وقال :

— ولكنك تركت التدخين منذ

هتف (باكوف) في حنق :

— سأعود إليه .

ناوله (إيفانوف) السيجارة ، فأشعلها ، ونفث دخانها ، ثم قال :

— سأذهب إليه بنفسي .

سأله (إيفانوف) في لامبالاة :

— وماذا ستفعل معه ؟

صمت (باكوف) لحظة ، ثم أجاب :

— سأنتزع منه اعترافًا أو .. أو أقتله .

* * *

١٣ — بين الأغلال ..

طرق (قدري) الدين ، مدير قسم التزييف ، باب مكتب مدير المخابرات المصرية .. ولم يكد يسمع صوت المدير يأذن له بالدخول ، حتى دفع الباب ، وتطلع بعينين محمرتين إلى (حازم) ، ومدير المخابرات ، وغمغم في صوت شق عن آلامه :

— هل وصلت برقية جديدة ، بخصوص (أدهم) و (منى) يا سيدي ؟

أجابه مدير المخابرات في صوت حزين :

— نعم يا (قدري) .

شعر (قدري) أن قدميه تعجزان عن حمله ، وهو يسأله :

— ماذا حدث ؟

أطرق مدير المخابرات برأسه في حزن ، على حين أجاب (حازم) :

— يقول شهود الموقف أن قتالًا عنيفًا قد دار في مكتب

شركة الغلال العربية ، وحدث تبادل إطلاق نيران ، سقطت بعده فتاة تنطق ملامحها على (منى) ، من الطابق التالى ، وجسدها يدمى إثر رصاصات مدفع رشاش ، وبعدها غادر الجنود السوفيت الشركة ، وهم يحملون جسد رجل ينزف الدماء من رأسه فى غزارة ، وهو فاقد الوعى ، ويكبلونه بالأغلال ، ثم حملوا جثة (منى) ، وانطلقوا إلى جهة مجهولة .

اتسعت عينا (قدرى) ، واغرورقتا بالدموع وهو يغمغم :

ــ حتمًا !!!

اندفعت الدموع من عينيه فجأة ، واهتز جسده البدين فى قوة ، مع نحيبه ، وتطلع إليه مدير المخابرات و (حازم) فى إشفاق ، ثم غمغم المدير فى حزن عميق :

ــ كنا جميعًا نتوقع هذه النهاية يا (قدرى) .. لقد كانت هذه آخر مهام (أدهم) و (منى) .. إنها نهاية (رجل المستحيل) .

* * *

رفع (أدهم) عينيه فى بطء ، يتطلع إلى (باكوف) ، الذى وقف يتأمله فى هدوء ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ..

كانت حالة (أدهم) مؤسفة للغاية ، فقد بدت ثيابه رثة

وتجمدت على جبهته بعض الدماء ، من جرح عميق فى رأسه ، وبدا ذراعاه المفرودان ملتهبين داميين ، على نحو عنيف ، وكان مكبلًا بالأغلال الحديدية ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يبتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ــ كيف حالك أيها الرفيق (باكوف) ؟

ظل (باكوف) يتأمله لحظة فى تعجب ، ثم أجابه فى هدوء :

ــ هل تحاول التظاهر بالبطولة ، يا ضابط المخابرات المصرية ؟

بدت ابتسامة (أدهم) شديدة السخرية ، وهو يقول :

ــ اسمى (أشرف صابر) .. وأنا موظف فى وزارة الزراعة المصرية .

مط (باكوف) شفتيه ، وقال :

ــ لن يفيدك الإنكار أيها الرفيق (أدهم) .

ثم انحنى نحوه ، وأردف فى هدوء :

ــ لن نسألك عن طبيعة مهمتك فى أرضنا .. سيكفينا أن نعرف أنك ضابط مخابرات مصرى .

اكتفى (أدهم) بابتسامته الساخرة ، دون أن ينطق بكلمة ، فاعتدل (باكوف) ، وقال :

ـــ إنه مجرد إجراء شكلى أيها الرفيق (أدهم) .. فقد أدلى (أندريه) ، عميل (سكوربيون) باعتراف مفصل .

صمت (باكوف) يمنح (أدهم) فرصة للإجابة ، ولكن (أدهم) استمر على صمته ، واستمرت ابتسامته الساخرة تزين شفتيه ، فعاد (باكوف) يقول :

ـــ اعترافك سيجنبك مشقة عسيرة أيها الرفيق المصرى ، وربما اكتفت السلطات بإعادتك إلى دولتك و .....

قاطعته ابتسامة (أدهم) ، التى ازدادت سخرية ، فقال فى غضب :

ـــ ماقولك أيها الرفيق (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـــ اذهب إلى الجحيم .

انتفض (باكوف) فى حدة ، وشفت ملامحه عن غضبه العنيف ، ولكن ملامحه لم تلبث أن استعادت هدوءها ، وهو يقول :

ـــ لست أنا من سيذهب إلى الجحيم أيها المصرى .

ثم أشعل واحدة من سجائر (إيفانوف) ، ذات الرائحة النفاذة ، وأردف :

ـــ ولكن الجحيم الذى ستذهب إليها جحيم من الثلوج .. ثلوج تصل برودتها إلى خمسين درجة تحت الصفر .

لم تختف ابتسامة (أدهم) الساخرة لحظة واحدة ، طوال حديث (باكوف) ، مما أورث هذا الأخير شعورًا بالخنق ، فألقى سيجارته بعيدًا ، وهتف فى غيظ :

ـــ سأرسلك إلى سجن تحيط به القضبان الجليدية أيها المصرى ، سجن لم ينجح سجين واحد فى الفرار منه منذ إنشائه .

زفر فى غضب ، ثم أردف فى انفعال :

ـــ سأرسلك إلى (سيبيريا) .

* * *

وقف (أندريه) يرتجف أمام (باكوف) ، الذى حدجه بنظرات صارمة ، بدت وكأنها تنفذ من جلد (أندريه) ، وتسلل إلى أعماقه ، فغمغم فى توتر :

ـــ هل تسمح لى بالعودة إلى موطنى أيها الرفيق (باكوف) ؟

ابتسم (باكوف) ابتسامة صفراء ، أثارت رعب (أندريه) ، وهو يقول :

ولكن الرجل لم يكن يفكر في القرار ..
كان مستسلمًا لمصيره ، وكأن مصرع زميلة كفاحه ، قد حطم في أعماقه الرغبة في الصراع ..
لم يعد هو (أدهم صبري) الذي نعرفه ..
لم يعد ذلك الوسيم القوي ، الذي تنبض عروقه بالحماسة والثورة ..
بدا وكأنه رجل آخر .. تحت جفنيه ، وفقدت عيناه بريقهما ..
رجل استسلم للقدر ..
القدر المظلم ، وسط سجن من الثلج .. وإلى الأبد ..

* * *

[انتهى الجزء الأول]

رجل المستحيل